

وسائل النقل ووظائفها في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل
جامعة طيبة / كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المدينة المنورة

مستخلص:

يعد هذا البحث من البحوث الخاصة بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وقد تناول بالدراسة والتحليل وسائل النقل المتنوعة التي ذكرها القرآن الكريم، وبين البحث أن القرآن تحدث عن كل وسائل النقل البرية التي كانت معروفة لدى العرب، من الإبل والخيول والبغال والحمير، كما تحدث عن وسيلة النقل البحرية وهي السفينة، وذكرها بأربع صيغ وهي: (الفلك - السفينة - الجواري - ذات ألواح)، وتحدث أيضاً عن بعض وسائل النقل الخاصة، مثل الريح التي سخرت لسليمان عليه السلام، والهدهد الذي نقل له المعلومات، وأوصل رسالته لبلقيس، وأشار القرآن الكريم إلى ما جد وما يمكن أن يجد من وسائل نقل برية وبحرية وجوية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] وتحدث القرآن أيضاً عن بعض وسائل النقل الغيبية مثل الملائكة والجن، التي لا علم للإنسان بها. وبهذا يظهر أن القرآن الكريم احتوى على كل وسائل النقل التي نعرفها، وتخطاها إلى ذكر عدد من الوسائل التي لا نعرفها.

الكلمات المفتاحية: وسائل النقل - القرآن الكريم - النقل في القرآن - وسائل القرآن.

Means of Transportation in the Holy Qura'n

Dr. Nabeel Mohammad Ibrahim al Ismail

Taibah University, College of Arts and Humanities - Medina

Abstract

This research is one of the research on the objective interpretation of the Holy Qur'an, and it dealt with the study and analysis of the various means of transportation mentioned by the Holy Qur'an. The navy is the ship, and he mentioned it in four forms: (the astronomy - the ship - the slaves - with boards), and he also talked about some special means of transportation, such as the wind that was harnessed to Solomon, peace be upon him, and the hoopoe who transmitted information to him, and delivered his message to Belqis, and the Holy Qur'an referred to What has been found and what can be found of means of transportation by land, sea and air, and that is in the Almighty's saying: "And horses, mules, and donkeys for you to ride as an adornment, and He creates what you do not know" [Al-Knowing: 8] The Qur'an also spoke about some unseen means of transmission, such as angels and jinn, of which man has no knowledge. Thus, it appears that the Noble Qur'an contained all the means of transportation that we know, and went beyond them to mentioning a number of means that we do not know.

Keywords: means of transportation - the Holy Qur'an - transportation in the Qur'an - means of the Qur'an.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فتعدّ الدراسات الموضوعية في القرآن الكريم من
أهمّ الدراسات وأكثرها فائدة، نظراً لتناولها موضوع
الدراسة في كامل القرآن الكريم، ومن جميع الجوانب
التي تناولها، مما يهيئ للخروج بتصوير واضح وشامل
عن الموضوع من جانب، ويسمح بإطلاق أحكام
صحيحة ودقيقة من جانب آخر.

ومن هنا فقد أصبحت هذه الدراسات محور اهتمام
الباحثين والدارسين في علوم القرآن الكريم منذ أكثر
من نصف قرن، ولا تزال الدراسات المتعلقة بهذا العلم
تسيطر على جلّ اهتمام الطلبة والباحثين في تخصص
الدراسات القرآنية.

وقد سعى بعض العلماء إلى إخراج موسوعة خاصة
بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ولا يزال هذا العلم
حتى الساعة في لبناته الأولى التي نكتشف كل يوم مزيداً
من فضائاته الواسعة، وبحاره العميقة.

ولدى قراءتي للقرآن الكريم تنبّهت إلى وسائل
النقل المتنوعة التي ذكرها القرآن الكريم، البرية منها
والبحرية، بل والجووية، فأحببت أن أجمع بحثاً بعنوان:
«وسائل النقل في القرآن الكريم ووظائفها»⁽¹⁾.

مشكلة البحث والدراسات السابقة

ويعدّ هذا البحث من البحوث التي تعتمد على
الجمع والتفسير، أكثر منها على النقد والاستنباط
والتحليل، وتكمن مشكلته في أنني لم أجِد بعد الرجوع
إلى المكتبات الإسلامية، والبحث في ثناياها، من قام

(1) المراد بالوسائل: الوسائط التي تستخدم لنقل الأشياء
من مكان لآخر. وسأكتفي بهذا التعريف عن وضع تمهيد
للتعريف بالوسيلة في اللغة والاصطلاح، خشية الاستطراء.

بدراسته وجمعه في بحث مستقل؛ إلا أنني وجدت في
بعض مواقع الشبكة العنكبوتية مقالات بسيطة، أو
شذرات مفرقة حوله، أفدت منها، وأشارت إليها في
ثنايا البحث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التعرف على جانب من
المعلومات التي وردت في القرآن الكريم عن وسائل
النقل المتنوعة التي أنعم الله بها علينا، وكيفية استخدامها.

أهداف البحث

يهدف البحث عبر جمع الآيات التي تحدثت عن
وسائل النقل، وترتيبها، وتصنيفها وفق مجموعات؛
إلى تصور شامل لوسائل النقل التي ذكرت في القرآن
الكريم.

وسوف تكون هذه الدراسة - إن شاء الله - نواة
لدراسات أخرى في هذا الجانب تتعلق بالمقارنة
والتحليل والاستنباط.

منهج البحث

تدخل هذه الدراسة المكتبية ضمن المنهج الوصفي
الذي يعتمد على الاستقراء والتفسير، متبعاً فيها قواعد
البحث العلمي وفق النقاط التالية:

1. استخرجت الآيات التي تحدثت أو أشارت إلى
وسائل النقل، وصنفتها في مجموعات، ووضعت
لكل مجموعة عنواناً خاصاً بها.

2. عزوت الآيات المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم
السورة، ورقم الآية وإيرادها في متن البحث عقب
الآية مباشرة.

3. رجعت إلى أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة
للقوقوف على تفسير الآيات القرآنية.

4. جمعت كلام أهل العلم من المفسرين وغيرهم حول
وسائل النقل في القرآن الكريم.

5. عزوت الأقوال والنصوص وفق قواعد البحث

العلمي.

6. خرجت الأحاديث الواردة في البحث.

7. بينت معاني المفردات الغريبة من خلال الرجوع إلى

المعاجم اللغوية وكتب الغريب.

8. وثقت المعلومات حسب قواعد البحث العلمي.

9. ذيلت البحث بفهارس مناسبة.

خطة البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وأربعة مباحث،

وخاتمة.

أولاً: المقدمة: ذكرت فيها أهمية البحث، وأهدافه،

والمنهج الذي اتبعته، والدراسات السابقة عليه.

ثانياً: المبحث الأول: وسائل النقل البرية في القرآن

الكريم.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإبل في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الخيل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الحمير في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: البغال في القرآن الكريم.

ثالثاً: المبحث الثاني: وسائل النقل البحرية في القرآن

الكريم.

ويشتمل على مطلب واحد:

السفن في القرآن الكريم.

رابعاً: المبحث الثالث: وسائل النقل الجوية في

القرآن الكريم. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الريح في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الملائكة في القرآن الكريم.

خامساً: المبحث الرابع: وسائل نقل خاصة أشار

إليها القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهدهد في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: البراق في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وسائل النقل الحديثة.

سادساً: الخاتمة: وتشمل أهم النتائج التي توصلت

إليها والتوصيات.

المبحث الأول:

وسائل النقل البرية في القرآن الكريم.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإبل في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الخيل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الحمير في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: البغال في القرآن الكريم.

المبحث الأول

وسائل النقل البرية في القرآن الكريم.

تمهيد:

جرت العادة في البحوث الأكاديمية أن يقدم الباحث بين يدي البحث تعريفاً بعنوان البحث من حيث اللغة والاصطلاح، فيقوم مثلاً ببيان المراد بالوسائل لغة واصطلاحاً، وكذلك النقل، ثم التعريف بالقرآن الكريم، ثم يتوصل بعد ذلك إلى التعريف الاصطلاحي لوسائل النقل في القرآن الكريم.

لكنني رأيت أن عنوان البحث من الوضوح بحيث لو أردت إنشاء تعريف خاص به لما أضفت شيئاً جديداً عليه، بل لربما ازداد إبهاماً عوضاً من أن يزداد وضوحاً، لذلك بدأت بذكر المباحث والمطالب، ورتبتها ترتيباً منطقياً، راعيت فيه تقديم المبحث الأكثر قرباً إلى الإنسان، وتعاملاً معه، كما رتبته المطالب داخل المباحث بناء على ما هو الأكثر إيراداً في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الإبل في القرآن الكريم.

الإبل: أكثر وسائل النقل البرية ذكراً في القرآن

الكريم، لا واحد لها من لفظها، وهي مؤنثة لأن أسماء

مذلاً للركوب، قال الجوهري: «البَعِيرُ من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، يقال للجمل بعير وللناقة بعير. وحكى عن بعض العرب: صرعتني بعيري، أي ناقتي. وشربت من لبن بعيري. وإنما قال له بعير إذا أجدع. والجمع أبعرة، وأباعر، وبعران»⁽²⁾.

وجاء في تاج العروس: «(والبَعِيرُ) ، كَأَمِيرٍ ، (وَقَدْ تُكْسَرُ الْبَاءُ) ، وَهِيَ لُغَةٌ بَنِي تَمِيمٍ ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ اللَّغَتَيْنِ: (الْجَمْلُ الْبَازِلُ، أَوِ الْجَذَعُ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْأُنْثَى) ، حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: شَرِبْتُ مِنْ لَبَنِ بَعِيرِي، وَصَرَعتُنِي بَعِيرِي، أَيِ نَاقَتِي، وَيَقُولُونَ: كَيْلَا هَازِئِينَ الْبَعِيرِينَ نَاقَةً، وَفِي الصَّحَاحِ: وَالْبَعِيرُ مِنَ الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ، يُقَالُ: الْجَمْلُ بَعِيرٌ، وَالنَّاقَةُ بَعِيرٌ، قَالَ: وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ بَعِيرٌ، إِذَا أَجْدَعَ. يُقَالُ: رَأَيْتُ بَعِيرًا مِنْ بَعِيدٍ، وَلَا يُبَالِي ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى. وَفِي الْمِصْبَاحِ: الْبَعِيرُ مِثْلُ الْإِنْسَانِ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، يُقَالُ حَلَبْتُ بَعِيرِي. وَالْجَمْلُ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَخْتَصُّ بِالذَّكَرِ، وَالنَّاقَةُ بِمَنْزِلَةِ الْمَرْأَةِ تَخْتَصُّ بِالْأُنْثَى، وَالْبَكْرُ وَالْبَكْرَةُ مِثْلُ الْفَتَى وَالْفَتَاةِ، هَكَذَا حَكَاهُ جَمَاعَةٌ. كَابِنِ السَّكَيْتِ وَابْنِ جُنِّي⁽³⁾».

ويطلق لفظ البعير أيضاً على الحمار وعلى كل ما يحمل، قال في تاج العروس: «(والبَعِيرُ: الْحِمَارُ)⁽⁴⁾، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يُوسُفُ: 72] وَفِي زَبُورِ دَاوُدَ أَنَّ الْبَعِيرَ كُلُّ مَا يَحْمَلُ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا

الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازمٌ. وإذا صغرتهما أدخلتها الهاء، فقلت أيلة. وربما قال للإبل إبل، يسكنون الباء للتخفيف. والجمع آبال⁽¹⁾.

كما يطلق عليه أسماء أخرى بحسب صفته فيقال للذكر: جمل، وللأنثى: ناقة، وللأثنين إذا كان جذعين بعير، ويقال للإبل المعدة للذبح: بدن.

ارتبطت الإبل بالعرب ارتباطاً وثيقاً فذكروها في أشعارهم وأخبارهم وأبدعوا في وصف حركتها وأجزاء جسمها، وهذا دليل على عدم الاستغناء عنها وطول ملازمتهم لها، فكانوا يعتمدون عليها في جميع تنقلاتهم نظراً لقدرتها على تحمل العيش في صحراء الجزيرة العربية، كما هي ثروة مالية لمن عنده عدد كبير منها، ويحتاجونها في فض النزاعات والحروب التي تنشأ كثيراً بين القبائل العربية، فيدفعون من الإبل الدييات وغير ذلك؛ مما جعل بعض العلماء يفردون لها مؤلفات خاصة في التعريف بها ببيان أهميتها وأوصافها وأسمائها، مثل: كتاب الإبل لأبي سعيد (لأبي زيد)، ابن أوس الخزرجي. المتوفى: سنة 215، وكتاب الإبل لأبي عمرو: إسحاق بن مرار الشيباني. المتوفى: سنة 213. وكتاب الإبل لإسماعيل بن قاسم: أبي علي القالي. المتوفى: سنة 356، ست وخمسين وثلاثمائة. وكتاب الإبل لأبي حاتم: سهل بن محمد السجستاني. المتوفى: سنة 255، خمس وخمسين ومائتين.

ولذلك قدمتها في الذكر على سائر وسائل النقل الأخرى.

ولقد جاء الحديث عن الإبل في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، وهي:

● أولاً: البعير:

البعير: هو ما يحمل عليه المتاع والحاجة ويكون

(2) الصحاح، مادة بعر، 2/ 593.
(3) تاج العروس، 10/ 218.
(4) وَفِي الْبَعِيرِ سُؤْلُ جَرَى فِي مَجْلِسِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ هَمْدَانَ، وَكَانَ السَّائِلُ ابْنَ خَالَوَيْهِ، وَالْمَسْئُولُ الْمُتَنَبِّي، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: وَالْبَعِيرُ أَيْضاً الْحِمَارُ، وَهُوَ حَرْفٌ نَادِرٌ أَلْفَيْتُهُ عَلَى الْمُتَنَبِّي بَيْنَ يَدَيِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَتْ فِيهِ خُنْزِرَانَةٌ وَعُجْنُجِيَّةٌ، فَاضْطَرَبَ، فَقُلْتُ: الْمَرَادُ بِالْبَعِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ الْحِمَارُ، وَذَلِكَ أَنَّ يَعْقُوبَ وَإِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا بِأَرْضِ كَنْعَانَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِبِلٌ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَمْتَنِرُونَ عَلَى الْحَمِيرِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي تَفْسِيرِهِ. تاج العروس، 10/ 219.

(1) الصحاح، مادة إبل، 4/ 1618.

أكدت أقوال المفسرين عند تفسير هذه الآية أن النظر للإبل هنا هو نظراً تأمل واعتبار بهذا المخلوق العجيب، واكتشاف أسرارها، والتأمل في دقائق خلقه للوصول إلى معرفة أوجه إعجاز الخالق عز وجل في خلقه.

قال الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]، يقول تعالى ذكره لمنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعده لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة الله على هذه الأمور إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم، ودللها وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جل ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على خلقها، لن يعجزه خلق ما شابهها»⁽³⁾.

وقد ذكر القرطبي عند تفسيره لهذه الآية، بعضاً من أسرار خلق الإبل، فقال: «قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، قال المفسرون: لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك، فكذبوا وأنكروا؛ فذكرهم الله صنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شيء، كما خلق الحيوانات والسماء والأرض. ثم ذكر الإبل أولاً؛ لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة، فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير، يقوده وينيخه وينهضه، ويحمل عليه الثقل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقل حمل، وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره، فأراهم عظيمًا من خلقه مسخرًا لصغير من خلقه؛ يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته... وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج 24، ص 388.

يَحْمِلُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ: بَعِيرٌ⁽¹⁾.

وقد ورد ذكره في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفُظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ [سورة يوسف: 65].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمِنَ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [سورة يوسف: 72].

● ثانيًا: الإبل: ورد ذكرها في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإِنثَيْنِ أَمَّْا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [الأنعام: 144]

وهذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها، وهي تبين «جهل العرب قبل الإسلام، فيما كانوا حرّموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعاً بحيرة وسائبة ووصيلة وحاماً، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار، فبين تعالى أنه أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً، ثم بيّن أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز ذكره وأنثاه، وإلى إبل ذكورها وإنائها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها، بل كلّها مخلوقة لبني آدم أكلاً وركوباً وحمولة وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع»⁽²⁾.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17].

هذه الآية من الآيات الكريمة العديدة التي تدعونا إلى التدبر في النفس وفي الكون وفي المخلوقات، وقد

(1) تاج العروس، 10/ 218-219.

(2) تفسير ابن كثير، 3/ 316.

يمكن لهذا المركز الحسي أن يعرف نسبة الملح إلى الماء في الدم، ويتحكم في هذه الحالة وذلك بالتعاون مع الكلى، حتى إذا بلغ النقص في هذه النسبة بمقدار من النسبة الأصلية يقوم المركز بإرسال إشارات حسية للجدار البطني للوطاء الذي يفرز هرموناً للجزء الخلفي، ويحتوي عرق الجمال على بوتاسيوم يعادل أربعة أمثال محتواه من الصوديوم؛ مما يساعد على الاحتفاظ بالماء وتركيزه داخل الخلية، والغطاء الوبري للجمل خفيف وعازل للحرارة، وهذا ما يسمح بالتبخر من على سطح الجسم⁽³⁾.

وما زال العلم الحديث يكشف كثيراً من عجائب خلق الإبل وإمكاناتها، وما حباها الخالق الحكيم من قدرات وميزات جعلها تفوق كثيراً الحيوانات الأخرى في القوة والتحمل والعيش في الصحراء، وهكذا تتطابق الحقائق العلمية مع بيان القرآن الكريم، وتبين إعجازه حين نبه الناس إلى تأمل هذا الكائن العجيب؛ للوقوف على أسرارهِ ودقائق خلقهِ.

● ثالثاً: البدن:

البدن جمع بدنة وهي الناقة التي تلغف وتسمن لأجل أن تنحر في أيام الحج بمكة المكرمة، جاء في تاج العروس: «الْبَدْنُ، بالضم وبضمّتين، كعُسْرٍ وعُسْرٍ: السَّمْنُ والاكْتِنَارُ»⁽⁴⁾ وجاء في النظم المستعذب: «الْبَدْنُ: جَمْعُ بَدَنَةٍ، وَهِيَ: نَاقَةٌ، أَوْ بَقَرَةٌ، تُنَحَرُ بِمَكَّةَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمِّنُونَهَا»⁽⁵⁾.

وورد ذكرها في موضع واحد: وهو قوله تعالى: «وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَلَعَ وَالْمَعَزَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ

العطش، حتى إن إظماءها ليرتفع إلى العشر فصاعداً، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز، مما لا يرهه سائر البهائم⁽¹⁾.

وقد ظهرت دراسات حديثة تبين الإعجاز العلمي في خلق الإبل وبيان الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآية الكريمة «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ». فقد تمكن علماء الفسيولوجيا والبيولوجيا في العصر الحديث من إيجاد أوجه إعجاز جديدة في خلق الإبل، منها:

قدرة الجمل على إنتاج الماء من الشحوم الموجودة في سنامه بطريقة كيميائية تعجز مصانع الأرض قاطبة عن مضاهاتها في كفاءتها وعظمتها ودقتها.

ويقوم الجمل بتخزين الشحوم في أماكن مخصصة لهذا الغرض، وهو لا يخزنها تحت الجلد كما هو الحال في الإنسان؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لهلك الجمل ومات بسبب السخونة الزائدة في جسم الجمل عن الإنسان، ولكن الخالق العليم الذي أبدع في خلقه شاء أن يخزن الجمل شحمه في سنامه فقط، بحيث لا يترك شيئاً منه في أي مكان آخر من سطح جسمه؛ ولذلك لا يعاني الجمل من الحر، ولا يفقد جسمه كميات كبيرة من العرق نتيجة لذلك؛ وبالتالي يحافظ على الماء الموجود في جسمه من الفقد بسبب العرق. ومن حكمة خلق الله في الإبل أن جعل احتياطي المادة الخام الضرورية لإنتاج الماء أي الشحوم كبيراً للغاية يفوق أي حيوان آخر⁽²⁾.

وكذلك «صبر الجمل على الظمأ دليل على قدرة الله وإعجازه في خلقه، وفسر بعض العلماء ذلك بأن المركز الفعلي للإحساس بالعطش يقع في الدماغ المتوسط في منطقة الوطاء بجوار الغدة النخامية مباشرة؛ حيث

(3) ينظر: الإعجاز القرآني في علوم الأحياء والبيولوجيا، أحمد المرسي حسين جوهر، مكتبة الإيمان، مصر، ص 215.

(4) تاج العروس، 34/ 239.

(5) النظم المستعذب، 1/ 218.

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 20، ص 35، 34.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم، محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 7، 1427 هـ 2006 م، ص 158.

● خامساً: الجمل:

الجمل: هو الفحل والذكر من الإبل، ولا يطلق عليه جملاً إلا إذا كان عظيم الهيئة والخلقة، قال الفراء: **الْجَمَلُ**: زوج الناقة، والجمع **جَمَالٌ**. وأَجْمَالٌ وَجَمَالَاتٌ وَجَمَائِلٌ⁽²⁾. قال ابن السكيت: يقال للإبل إذا كانت ذكورة ولم يكن فيها أنثى: هذه جمالة بنى فلان⁽³⁾.

وقد ورد ذكره في موضعين:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف: 40].
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفَرٌ﴾ [سورة المرسلات: 33]. والجمالة كالجمال أو هي جمع الجمع.

● سادساً: الركاب:

الركاب هي الراحلة التي يسار عليها من الإبل، جاء في تاج العروس: «وَالرَّكَابُ كَكِتَابٍ: (الإبل) الَّتِي يُسَارُ عَلَيْهَا، (وَاحِدَتُهَا رَاحِلَةٌ) وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، (ج) رُكْبٌ بِضَمِّ الْكَافِ (كَكْتُبٍ، وَرِكَابَاتٍ) وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ (إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الرِّكَابَ أَسْنَتَهَا) فِي رِوَايَةٍ (فَأَعْطُوا الرُّكْبَ أَسْنَتَهَا) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ جَمْعُ رِكَابٍ، وَهِيَ الرِّوَا حِلُّ مِنَ الْإِبِلِ⁽⁴⁾».

وقد ورد ذكره في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: 6].

قال الرازي: «قوله: ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ الركاب ما يركب من الإبل، وواحدتها راحلة، ولا واحد لها من لفظها، والعرب لا يطلقون لفظ الركاب إلا على راكب البعير، ويسمون راكب الفرس فارساً، ومعنى الآية أن الصحابة طلبوا من الرسول عليه الصلاة

تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الحج: 36].

والبدن التي تتحدث عنها الآية، جمع بدنة، ويراد بها البعير و الناقة التي تهدي للحرم في منسك الحج، وجوز بعض العلماء إطلاقها أيضاً على البقر،⁽¹⁾ فيكون هذا من باب الاشتراك.

● رابعاً: الناقة:

الناقة: هي أنثى الإبل، ورد ذكرها في سبعة مواضع، وهي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ [سورة الأعراف: 73].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الأعراف: 77].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيَقْوِرْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ [سورة هود: 64].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [سورة الإسراء: 59].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الشعراء: 155].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ﴾ [سورة القمر: 27].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [سورة الشمس: 13].

ومن الواضح أن كل المواضع السبعة التي ورد فيها ذكر (الناقة) جاءت معرفة يراد بها ناقة نبي الله صالح عليه السلام، وهي معجزته التي أرسل بها. وقد وردت بالإضافة إلى الله في ثلاثة مواضع، ومعرفة بأل في ثلاثة مواضع، ومنكرة في موضع واحد، وهو قوله: (هذه ناقة لها شرب) الآية.

(2) الصحاح، مادة جمل، 4/ 1661.

(3) الصحاح، مادة جمل، 4/ 1661.

(4) تاج العروس، 2/ 523.

(1) تفسير ابن كثير، 5/ 374.

والسلام أن يقسم الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم، فذكر الله الفرق بين الأمرين، وهو أن الغنيمة ما أتعبت أنفسكم في تحصيلها وأوجفتكم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعباً، فكان الأمر فيه مفوضاً إلى الرسول يضعه حيث يشاء⁽¹⁾.

● سابعا: الأنعام:

الأنعام جمع نعم، وهي الإبل ويطلق أيضاً على البقر والغنم. جاء في المفردات في غريب القرآن: «والنعم مختص بالإبل، وجمعه: أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل»⁽²⁾.

وقال الجوهري: «والنعم: واحد الانعام، وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. قال الفراء: هو ذكر لا يؤنث. يقولون: هذا نعم وارد. ويجمع على نعمان، مثل حمل وحملان. والأنعام تذكر وتؤنث. قال الله تعالى في موضع: (بما في بطونه)، وفي موضع آخر: (بما في بطونها)»⁽³⁾.

وقد ورد ذكر الأنعام في القرآن في إحدى وعشرين آية، أشارت بعضها إلى تسخير الأنعام كوسيلة للنقل وهي:

1. «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» [غافر: 79].
2. «وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ» [الزخرف: 12].
3. «وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِنْهَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» [الأنعام: 142].
4. «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا

(1) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (29 / 247).

(2) المفردات في غريب القرآن، ص 815.

(3) الصحاح، 5 / 2043.

تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحْنَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ» [النحل: 5 - 7].

وتنوعت بقية الآيات التي ورد فيها ذكر الأنعام في ذكر وظائف مختلفة لها، وهي:

1. «رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ» [آل عمران: 14].
2. «وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» [الأنعام: 136].
3. «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [يونس: 24].
4. «وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» [فاطر: 28].
5. «وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيَبْتَكُنَّ عَادَاتِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا» [النساء: 119].
6. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» [المائدة: 1].

16. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: 12].

17. ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ جِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ طُهْرُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْرَوْنَ﴾ [الأنعام: 138].

المطلب الثاني: الخيل في القرآن الكريم.

تأتي الخيل في درجة عالية من الأهمية عند العرب، وكانوا يعتمدون عليها في حروبهم ووقائعهم، وذكروها في أشعارهم وأخبارهم وأسفارهم، حتى سمي أحد أنواعها باسم الخيول العربية.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكرها باسمها الأصلي: الخيل، وبأسماء لها تعود بمجملها لمعاني العزة والرفعة والقوة والزينة والجمال، وهي: الصافنات الجياد، الخير، العاديات.

● أولاً: الخيل:

الخيل: جماعة الأفراس، لا واحد له من لفظه، وهو مؤنث سماعي، يعم الذكر والأنثى. أو واحده: خائِل، لأنه يختال في مشيته.

ويشهد لما قاله أبو عبيدة ما حكاه أبو حاتم، نقلاً عن الأصمعي، قال: جاء معنوه إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، لم سُميت (الخيل) خيلاً فقال: لا أدري، فقال: لكن أدري، فقال: علمنا، قال: (لا خيالها في المشي، فقال أبو عمرو لأصحابه بعد ما ولي: اكتبوا الحكمة وزووها ولو عن معنوه. وقال الراغب بعد ما ذكر) الخيلاء: ومنها تنوول لفظ الخيل، لما قيل: لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة⁽¹⁾.

7. ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139].

8. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66].

9. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: 80].

10. ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: 28].

11. ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُتَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: 30].

12. ﴿وَلِكُلِّ أَقْوَ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ ءَسْأَلُكُمْ وَبَشِيرُ الْمُجْتَبِينَ﴾ [الحج: 34].

13. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: 21].

14. ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَمِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا نَصْرُفُونَ﴾ [الزمر: 6].

15. ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا يَذْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

والخَيْلُ في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، ويستعمل في كل واحد منهما منفرداً نحو ما روي: (يا خيل الله اركبي)، فهذا للفرسان، وقوله عليه السلام: «عفوت لكم عن صدقة الخيل» يعني الأفراس⁽¹⁾.

وورد ذكر الخيل في القرآن في خمسة مواضع.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿رُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: 14].

أورد ابن كثير في معنى ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ عن ابن عباس، رضي الله عنهما: الْمُسَوَّمَةُ الرَّاعِيَّةُ، وَالْمُطَهَّمَةُ الْحَسَانُ⁽²⁾.

وقال ابن حجر: «المُسَوَّمُ الذي له سيماء بعلامة، أو بصوفة، أو بما كان. وقال مجاهد: الخيل الْمُسَوَّمَةُ: الْمُطَهَّمَةُ الحسان. وقال سعيد بن جبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى: الْمُسَوَّمَةُ: الرَّاعِيَّةُ. وقال أبو عبيدة: الخيل الْمُسَوَّمَةُ: الْمُعَلَّمَةُ بالسيما، وقال أيضاً في قوله: (مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) أي معلمين. والمُسَوَّمُ الذي له سيماء بعلامة أو بصوفة أو بما كان⁽³⁾».

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: «وفي آية واحدة يجمع السياق القرآني أحب شهوات الأرض إلى نفس الإنسان: النساء والبنين والأموال المكدسة والخيل والأرض المخصبة والأنعام.. وهي خلاصة للرغائب الأرضية. إما بذاتها، وإما بما تستطيع أن توفره لأصحابها

من لذائذ أخرى⁽⁴⁾». **الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

قال ابن العربي⁽⁵⁾: «أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد في مقدمة التقوى؛ فإن الله تعالى لو شاء لهزمهم بالكلام، والتفل في الوجوه، وحفنة من تراب، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، بعلمه السابق وقضائه النافذ؛ فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بأمداد الملائكة العليا... ثم قال قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الرباط: هو حبس النفس في سبيل الله حراسة للشغور أو ملازمة للأعداء.

وقد روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد أنه قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، والغدوة خير من الدنيا وما فيها⁽⁶⁾). وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: (كل ميت يختم على عمله إلا الذي يموت مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر⁽⁷⁾).

ثم قال: وأما رباط الخيل: فهو فضل عظيم ومنزلة شريفة. وروى الأئمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذي هي عليه وزر فرجل ربطها رياء وفخراً ونواء لأهل الإسلام، فهي عليه وزر، وأما الذي

(4) في ظلال القرآن (1-373).

(5) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (4/ 125) وما بعدها.

(6) أخرجه البخاري 3/ 1059، حديث رقم (2735).

(7) أخرجه أحمد 6/ 20 (24450 و 24451). وأبو داود:

(2500). والترمذي (1621).

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب. ص 304.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير (2-21).

(3) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر (8/ 208).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ
أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ﴾ [الإسراء: 64].

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ﴾ يقول: واحمل عليهم بجنودك خيالكهم
ورجلتهم؛ فإن «الرَّجْلَ» جمع «راجل»، كما أن «الركب»
جمع «راكب» و«صحب» جمع «صاحب». ومعناه:
تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه. وهذا أمر قدري،
كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى
الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأًا﴾ [مريم: 83] أي: ترعجهم
إلى المعاصي إزعاجاً، وتسوقهم إليها سوقاً. وقال ابن
عباس، ومجاهد في قوله: ﴿وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجْلِكَ﴾ قال: كل راكب وماش في معصية الله.
وقال قتادة: إن له خيلاً ورجالا من الجن والإنس،
وهم الذين يطيعونه.

وتقول العرب: «أجلب فلان على فلان»: إذا صاح
عليه. ومنه: «نهى في المسابقة عن الجلب والجنب» ومنه
اشتقاق «الجلبة»، وهي ارتفاع الأصوات» (3).
الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا
رِكَابٍ﴾ [الحشر: 6].

قال الرازي: «قوله: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ يقال: وجف
الفرس والبعير يجف وجفاً ووجيفاً، وهو سرعة السير،
وأوجفه صاحبه، إذا حمّله على السير السريع، وقوله:
﴿عَلَيْهِ﴾ أي على ما أفاء الله، وقوله: ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا
رِكَابٍ﴾ الركاب ما يركب من الإبل، واحدها راحلة،
ولا واحد لها من لفظها، والعرب لا يطلقون لفظ
الراكب إلا على راكب البعير، ويسمون راكب الفرس
فارساً، ومعنى الآية أن الصحابة طلبوا من الرسول
عليه الصلاة والسلام أن يقسم الفياء بينهم كما قسم

هي عليه ستر فرجل ربطها تغنياً وتعففاً، ولم ينس حق
الله في ظهورها فهي عليه ستر، وأما الذي هي له أجر
فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة
فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب
الله له عدد ما أكلت حسنة، وكتب له أرواثها وأبوالها
حسنة، ولا يقطع طوالها فتستن شرفاً أو شرفين إلا
كتب الله له ذلك حسنة، ولا مر بها صاحبها على نهر
فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما
شربت حسنة (1).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتَمَّ خَلَقَهَا
لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ
فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۚ
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوףٌ رَحِيمٌ ۝ وَلِخَيْلٍ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل
6-8].

قال القرطبي: «قوله تعالى: و«الْخَيْلَ» بالنصب
معطوف، أي وخلق الخيل. وقرأ ابن أبي عبلة «والخيل
والبغال والحمير» بالرفع فيها كلها. وسميت الخيل
خيلاً لاختيالها في المشية. وواحد الخيل خائل، كضائن
واحد ضين. وقيل لا واحد له. وقد تقدم هذا في «آل
عمران» وذكرنا الأحاديث هناك ولما أفرد سبحانه الخيل
والبغال والحمير بالذكر دلّ على أنها لم تدخل تحت لفظ
الأنعام وقيل: دخلت ولكن أفردتها بالذكر لما يتعلق بها
من الركوب؛ فإنه يكثر في الخيل والبغال والحمير.

ثم قال: قال العلماء: ملكنا الله - تعالى - الأنعام
والدواب وذللها لنا، وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها
رحمة منه تعالى لنا» (2).

(1) أخرجه مسلم حديث رقم: (987).

(2) ينظر: تفسير القرطبي (10 / 68).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - (5 / 94).

يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة لا يمكن القائمة الرابعة من الأرض، وتلك من علامات خفته الدالة على كرم أصل الفرس وحسن خاله»⁽⁵⁾.

● ثالثاً: الخير

الخير في الأصل هو ما يرغب فيه الكل كالعقل والعدل⁽⁶⁾. والخير ضربان: خَيْرٌ مُطْلَقٌ، وَهُوَ مَا يَكُونُ مَرْغُوباً فِيهِ بِكُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، كَمَا وَصَفَ صَلي الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به الْجَنَّةَ فَقَالَ: لَا خَيْرَ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ.

وْخَيْرٌ وَشَرٌّ مُقَيَّدَانِ، وَهُوَ أَنَّ خَيْرَ الْوَاحِدِ شَرٌّ لآخر، مثل المَالِ الَّذِي رُبِمَا كَانَ خَيْرًا لَزَيْدٍ وَشَرًّا لِعَمْرٍ وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْأَمْرَيْنِ، فَقَالَ فِي مَوْضِعٍ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ (البقرة: 180) وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿أَيُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (المؤمنون: 55، 56) فَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أَي مَالًا. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَالُ هُنَا خَيْرًا تَنبِيْهًا عَلَى مَعْنَى لَطِيفٍ وَهُوَ أَنَّ الْمَالَ يَحْسُنُ الْوَصِيَّةَ بِهِ مَا كَانَ جَمْعًا مِنْ وَجْهِ مُحَمَّدٍ. والعرب تسمي الخيل الخير لما فيها من الخير⁽⁷⁾.

وقد ورد ذكر الخيل بمعنى الخير في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ [ص 33-30].

قال القرطبي: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يعني بالخير الخيل، والعرب تسميها كذلك، وتعاقب بين الرء واللام؛ فتقول: انهملت العين وانهمرت، وختلت وخترت إذا خدعت. قال الفراء: الخير في كلام العرب

(5) ينظر: التحرير والتنوير - الطبعة التونسية (23 / 255)

(6) تاج العروس، 11 / 238.

(7) تاج العروس، 11 / 239-240.

الغنيمة بينهم، فذكر الله الفرق بين الأمرين، وهو أن الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعباً، فكان الأمر فيه مفوضاً إلى الرسول يضعه حيث يشاء⁽¹⁾.

المعنى: ما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ أَسْرَعْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، مِنَ الْوَجِيفِ: وَهُوَ سُرْعَةُ السَّيْرِ. والمراد: أنكم لم تبدلوا في تحصيله مشقة، ولم تقاسوا فيه شدة⁽²⁾.

● ثانياً: الصافنات الجياد

الصافنات: هي الخيل التي تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة دون قيد بيد أو رجل. جاء في تاج العروس: الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾⁽³⁾.

وبينما ذكر الراغب أن المراد بالصافنات هي الخيل التي تضم قوائمها بعضها إلى بعض فقال: الصَّفْنُ: الجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ضَامًّا بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ. يقال: صَفَنَ الْفَرَسُ قَوَائِمَهُ، قال تعالى: الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ⁽⁴⁾.

وقد ورد ذكر الصافنات في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ [ص 33-30].

قال ابن عاشور: «و» الصافنات: وصف لموصوف محذوف استغنى عن ذكره لدلالة الصفة عليه لأن الصافن لا يكون إلا من الخيل والأفراس وهو الذي

(1) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (29 / 247).

(2) ينظر: التفسير المنير (28-77).

(3) تاج العروس، 35 / 312.

(4) المفردات في غريب القرآن ص 487.

عباس وأنس والحسن ومجاهد⁽⁵⁾.

وقد ورد الاهتمام بالخيّل وفضلها في السنة النبوية فمن ذلك ما جاء في الحديث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الخيّل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلى يوم القيامة»⁽⁶⁾.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ وَالنَّبْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا، فَاْمْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا، وَأَدْعُوا لَهَا بِالْبَرَكَةِ»⁽⁷⁾.

وثبت عن أنس أنه قال: (لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل⁽⁸⁾).

فهذه بعض نصوص من السنة في فضل الخيل وبيان أهميتها؛ حيث إن الخيل كلها خير ومعقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وتحمل من معاني الفخر والعزة والقوة والجمال والغنى والنفع وغير ذلك.

المطلب الثالث: الحمير في القرآن الكريم.

كانت الحمير موجودة عند العرب ولكنهم لم يعتمدوا عليها في تنقلاتهم اعتمادهم على الإبل، ولذلك لم تذكر عند العرب في أشعارهم كما هي عادتهم في توثيق قصصهم وأخبارهم. وغالب الظن أن السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة نفوس العرب التي تحب الفخر والمباهاة والمدح وتأنف الذل والهجاء، وركوب الحمار يدل على التواضع في النفس والمال؛ فلذلك أنفوا من ركوبه والاعتماد عليه في تنقلاتهم.

والخيّل واحد. النحاس: في الحديث: «الخيّل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» فكأنها سميت خيراً لهذا. وفي الحديث: لما وفد زيد الخيل على النبي ﷺ، قال له: «أنت زيد الخير» وهو زيد بن مهلهل الشاعر. وقيل: إنها سميت خيراً لما فيها من المنافع. وفي الخبر: إن الله تعالى عرض على آدم جميع الدواب، وقيل له: اختر منها واحداً فاختر الفرس؛ فقيل له: اخترت عرك؛ فصار اسمه الخير من هذا الوجه. وسمي خيلاً؛ لأنها موسومة بالعز. وسمي فرساً لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثبانا، ويقطعها كاللتهام بيديه على كل شيء خبطاً وتناولاً. وسمي عربياً لأنه جيء به من بعد آدم لإسماعيل جزاء عن رفع قواعد البيت، وإسماعيل عربي فصارت له نحلة من الله؛ فسمي عربياً⁽¹⁾.

● رابعاً: العاديات

جاء في تاج العروس: العاديّة: الْخَيْلُ الْمُغِيرَةُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾⁽²⁾. وَالضُّبْحُ: الصَّهِيلُ. (أَوْ) ضَبَحَتْ، إِذَا (عَدَتْ) عَدَوًّا (دُونَ التَّقَرُّبِ). وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾ (العاديات: 1) كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: هِيَ الْخَيْلُ تَضْبَحُ⁽³⁾.

وقد ورد ذكر الخيل بمعنى العاديات في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾⁽⁴⁾ فَالْمُورِيَّتِ قَدَحًا⁽⁵⁾ فَالْمُغِيرَاتِ ضَبْحًا⁽⁶⁾ فَاتَّزَنَ بِهِ⁽⁷⁾ نَقْعًا⁽⁸⁾ فَوَسَطْنَ بِهِ⁽⁹⁾ جَمْعًا⁽¹⁰⁾ [العاديات 5-1]. قال ابن عطية: «اختلف الناس في المراد بالعاديات، فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد وعكرمة: أراد الخيل؛ لأنها تعدو بالفرسان وتصيح بأصواتها⁽⁴⁾». وقال القرطبي: «وممن قال: إن المراد بالعاديات الخيل، ابن

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (20 / 155).

(6) أخرجه البخاري (3 / 1047، 1048، 1135)، ومسلم (3 / 1493) (1873).

(7) أخرجه أحمد (3 / 352) (14851) ابن حبان: 530 / 10 (4674) والحاكم (2 / 100) (2454).

(8) ينظر: النسائي في سننه الكبرى (3 / 36) (4404).

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (15 / 194).

(2) تاج العروس، 39 / 18.

(3) تاج العروس، 6 / 562.

(4) ينظر: ابن عطية (5-513).

والحكمة من تخصيص الحمار في هذه الآية -والله أعلم- هو بيان ما كان عليه الأنبياء والصالحون من التواضع وخفض الجناح.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]. وقد تقدم.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: و «غض الصوت» أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه، ثم عارض ممثلاً بصوت الحمير على جهة التشبيه، أي تلك هي التي بعدت عن الغض فهي أنكر الأصوات، فكذلك كل ما بعد عن الغض من أصوات البشر فهو في طريق تلك وفي الحديث «إذا سمعتم نهيق الحمير فتعودوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً»، وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمير، وقال عطاء: صياح الحمير دعاء على الظلمة، وأنكر معناه أقبح وأخشن، وأنكر عبارة تجمع المذام اللاحقة للصوت الجهير، وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت الجهير على خلق الجاهلية ومنه قول الشاعر يمدح آخر: **جهير الكلام جهير العطاس**

جهير الرواء جهير النعم

ويعدو على الأين عدو الظليم

ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى الله تعالى عن هذه الخلق الجاهلية، وقوله لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أراد ب «الصوت» اسم الجنس، ولذلك جاء مفرداً⁽³⁾.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا بِمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

ولذلك كان من تواضع النبي ﷺ أنه ركب الحمار وأردف خلفه، وقد ورد في ذلك أحاديث عدة، منها: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له: «عفير» فقال: ((يا معاذ! تدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟)) قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ((فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل - أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)). قال: قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا تبشرهم فياكلوا)⁽¹⁾.

ورد ذكر الحمار في القرآن الكريم في أربعة مواضع: **الموضع الأول:** قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعَظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259].

قال الدميري: «ويوصف (الحمار) بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها، ولو مرة واحدة، وبحدة السمع وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة، بحسب الأغراض⁽²⁾».

وقد ذكر الحمار في هذه الآية في سياق إثبات أمر عظيم ألا وهو إحياء الله للموتى، وقد ذكر الله إحياءه للموتى في مواطن كثيرة من كتابه العزيز لإثبات البعث والرد على منكريه من الكفرة والمشركين.

(1) ينظر: رواه البخاري في مواضع من صحيحه منها (3/ 1049 رقم 701) ومسلم (1/ 58 رقم 30).

(2) ينظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 236).

(3) ينظر: المحرر الوجيز، 4/ 351-352.

المطلب الرابع: البغال في القرآن الكريم.

البغال من الحيوانات التي كانت موجودة بقلة في الجزيرة العربية عند نزول القرآن ولم يعتمد عليها العرب كثيراً في تنقلاتهم، ولم تذكر في أشعارهم وأخبارهم إلا ما ندر.

وقد كان لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء أهداها له ملك أيلة، وكان رسول الله ﷺ يركبها، كما ورد ذلك في أحاديث منها:

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: «عَزَّوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِحَرِّهِمْ»⁽⁴⁾.

عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُمَارَةَ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا وَلَّى النَّبِيُّ ﷺ، وَلَكِنْ وَلَّى سَرَعَانُ النَّاسِ، فَلَقِيَهُمْ هَوَازِنُ بِالْتَّبَلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ أَخَذَ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁽⁵⁾.

وورد ذكر البغال في القرآن الكريم في آية واحدة في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8].

وهي حيوانات هجينة نتيجة لتزاوج الفرس والحمير، اكتسبت العديد من صفاتها المميزة؛ فلبغال صبر الحمير وقوة الفرس. وللبغال عامة مقاومة عالية للأمراض ولكنها عقيمة⁽⁶⁾.

يقول الباحث محمد رجب السامرائي: «وقد ذكرت البغال في موضع معين في الجملة يسبقها اسم الخيل ويعقبها الحمير، وإذا ما رجعنا إلى الحقائق العلمية

[الجمعة: 5].

هذا مثل في الجهل والغفلة وفي قِلَّةِ المعرفة مع توافر أسبابها والشبه فيه منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبه⁽¹⁾.

يقول ابن القيم: «فقاس من حملة سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره؛ فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته»⁽²⁾.

قال الزمخشري: «شبه اليهود - في أنهم حملة التوراة وقرأوها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبطانة به ولم يؤمنوا به - بالحمير حمل أسفاراً، أي كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب. وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل»⁽³⁾.

وفي الآية إشارة إلى أن الحمير مسخر للحمل والركوب وهو مبلغ علمه ومنتهى ما يؤمل منه.

(4) ينظر: صحيح البخاري. باب إذا وادع النبي صلى الله عليه وسلم ملك قرية. 97 / 4. برقم: 3161.

(5) ينظر: صحيح البخاري. باب بغلة النبي ﷺ. 32 / 4. برقم: 2847.

(6) ينظر: حياة الحيوان الكبرى (1 / 200).

(1) ينظر: أسرار البلاغة (ص: 81).

(2) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (1 / 197).

(3) ينظر: الكشف (4 / 530).

أي نوعين مختلفين من الحيوان لا بد وأن يكون ثمرة ذلك التناسل حيوانات عقيمة، وتلك الحقائق العلمية كان العرب يجهلونها مع غيرها من الأمم وقت نزول القرآن الكريم، ومن هنا يتضح معنى ومغزى العبارة القرآنية من آية سورة النحل التي اختتمت بها هذه الآية: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8]. فلم يكن العلم قد توصل إلى شيء من هذه الحقائق العلمية التي تكشف مؤخرًا⁽²⁾.

وحينما ذكرت الخيل والبغال والحمير في الآية الكريمة ذكر الغاية من خلقها وهو الركوب والزينة بمعنى إنها تركب وهي زينة لمن يركبها⁽³⁾.

المبحث الثاني:

وسائل النقل البحرية في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلب واحد:
السفن في القرآن الكريم.

السفن في القرآن الكريم.

كان للسفن وما يزال دور كبير في الربط ما بين شعوب العالم وعن طريقها تتم عمليات البيع والشراء ونقل البضائع والأغراض التجارية والعسكرية والعلمية، وهي أنواع كثيرة، فمنها أنواع للصيد، وأخرى لنقل الركاب، وأخرى لنقل البضائع، وأخرى لنقل الجنود والمعدات الحربية وغير ذلك. ولا يعرف تحديدًا متى استعمل الإنسان السفن أو القوارب في نقل الركاب والبضائع.

وما هو ثابت لدينا -نحن المسلمين- أن أول من صنع سفينة هو نبي الله نوح عليه السلام لكن لا نجزم أن سفينة نوح هي أول سفينة عرفتها البشرية حيث لم

(2) المرجع السابق.

(3) ينظر: أسماء في القرآن الكريم (ص: 83) وما بعدها.

لتعرفنا على مغزى هذا الترتيب في ذكر الأسماء وترتيبها على هذا النحو: فالبغل حيوان عقيم لا يلد ولا ينجب ولا يتناسل؛ بل يتوالد من تزاوج الحصان والحمار، وهو توالد قد يكون في الطبيعة، ويتأتى من تدبير الإنسان، لكنه في جميع الأحوال هو خلق من نوع يختلف عن توالد وتناسل بقية أنواع الحيوان التي تتوالد من بني جنسها. وذكر تعالى البغال بين هذين النوعين من الحيوان اللذين ينجبانه وهو الفرس من ناحية والحمار من ناحية أخرى، أي: إنه يرد في الجملة بموقع يتوسط طرفي توالده وأسباب وجوده. إن هذا الإبداع البلاغي في الآية المباركة لا يبين لنا مغزى ترتيب مفردات الآية فحسب؛ بل يؤكد أيضًا أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء وفقًا لمشيئته ولما قدره لكل نوع من أنواع الخلق من أسباب الوجود والنشوء والتناسل.

وهو دليل على إحكام آيات القرآن المجيد وفق منطق إلهي يستند إلى أنه سبحانه هو العليم الحكيم، ويؤكد لنا أن كلمات القرآن ومفرداته إنما تتبع نظامًا محكمًا يضبط أولوية تواردها، ولهذا مغزى يتطلب منا دقة تأمل وتدبر لأنه لا مبدل لكلماته جل شأنه⁽¹⁾.

ويقول أيضًا: «وتتميز البغال بأنها تجمع ما بين قوة الخيل وتحمل الحمير وقدرتها على تحمل المشاق، وهي حيوانات عقيمة، ويرجع ذلك إلى أن ما يعرف بالكروموزومات في السائل المنوي للبغال أقل من تخصيب البويضة ليحدث الحمل والتناسل، لذا أصبحت عقيمة. لكن المعروف علميًا أن التزاوج بين

(1) من مقالة بعنوان: أسماء في القرآن الكريم، موقع صحيفة الزمان، رابط: <https://www.azzaman.co>
m/%D8%A3%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85-20

يأت دليل قاطع بذلك.

وقد ورد ذكر السفينة في القرآن الكريم بألفاظ عدة وهي: (الفلك - السفينة - الجارية - ذات ألواح ودرس).
أولاً: الفلك: وهي السفن، وواحدة وجمعه بلفظ واحد، وأصل الفلك: الاستدارة في الشيء، ولعل السفن سُميت فُلُكًا؛ لأنها تُدار في الماء⁽¹⁾.

جاء في الصحاح: «والفُلُكُ بالضم: السفينة، واحدٌ وجمعٌ، يذكر ويؤنث. وقال تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ فجاء به مذكراً. وقال تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي يَجْرِي الْبَحْرُ﴾ فأُنث ويحتمل واحداً وجمعاً. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ فجمع، فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكر، وإلى السفينة فتؤنث. وكان سيبويه يقول: الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد، وليس مثل الجنب الذي هو واحد وجمع، والطفل وما أشبههما من الاسماء، لأن فعلاً يشركان في الشيء الواحد، مثل العرب والعرب، والعجم والعجم، والرهب والرهب، فلما جاز أن يجمع فعل على فعل، مثل أسد وأسد، لم يمتنع أن يجمع فعل على فعل⁽²⁾.

ووردت كلمة الفلك في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعاً: منها ما كانت أَل التعريف فيه للعهد والمراد منها: سفينة نبي الله نوح عليه السلام وقد وردت في ثمانية مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَانجَيْنَاهُ وَمَنْ (1) ينظر: (مقاييس اللغة) لابن فارس (4/453)، (تذكرة الأريب) لابن الجوزي (ص: 162)، (التيان) لابن الهائم (ص: 99)، (غريب القرآن) لابن قتيبة (ص: 67).. (2) الصحاح، 4/1604.

مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس: 73].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [هود: 37].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 27].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَالظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 28].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: 119].

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَهْمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41].

ومنها ما كانت أَل التعريف فيه للجنس ويشمل أي فلك، ووردت في خمسة عشر موضعاً:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلْفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ﴾ [البقرة: 164].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: 22].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: 32].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمُ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: 66].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ [الحج: 65].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلُكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: 22].

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65].

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[الروم: 46].

الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُزَيِّدَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: 31].

الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: 12].

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140].

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْتَغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلُكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80].

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: 12].

الموضع الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجنات: 12].

● ثانيًا: السفينة:

أصل كلمة السفينة من سَفَنَهْ يَسْفِنُهْ سَفْنًا: (قَشَرَهْ) ؛ كما في الصَّحاح.

وقال الرَّاعِبُ: السَّفْنُ: نَحْتُ ظَاهِرِ الشَّيْءِ كَسَفْنِ الْجُلْدِ وَالْعُودِ، وَمِنْهُ السَّفِينَةُ لِقَشْرِهَا وَجَهَ الْمَاءِ ، فَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى فَاعِلَةٍ، نَقَلَهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ. وقال غيره: لِأَنَّهَا تَسْفِنُ الرَّمْلَ إِذَا قَلَّ الْمَاءُ.

وقيل: لِأَنَّهَا تَسْفِنُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَي تَلْزُقُ بِهَا؛ (ج سَفَانٌ وَسَفْنٌ) ، بضمَّتَيْنِ وسَفْنٌ، الأولان مقيسان، والثالث اسمُ جنسٍ جمعي، وأهل اللُّغَةِ يُطْلِقُونَ الْجَمْعَ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَلَوْ لَمْ يَقْتَضِهِ الْقِيَاسُ كَأَسْمَاءِ

والجارية: (السفينة) صفة غالبية؛ ومنه قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾؛ وقد جَرَتْ جَرِيًّا، والجمع: الجَوَارِي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾⁽³⁾.

وقد ورد ذكر الجارية بمعنى السفينة في أربعة مواضع: موضع واحد أَل التعريف فيه للعهد والمراد به سفينة سيدنا نوح عليه السلام وهو:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

وباقى المواضع أَل فيه للجنس وهي عامة في كل سفينة. الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ الْجَارِيَتِ يُسْرًا﴾ [الذاريات: 3].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: 32].
الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: 24].

● رابعاً: ذات ألواح ودر (وهي كناية عن السفينة): اللُّوح: واحد ألواح السفينة. قال تعالى: وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ [القمر/ 13] وما يكتب فيه من الخشب ونحوه⁽⁴⁾. والدر هي المسامير الواحد دِسَار، وأصل الدسر: الدفع الشديد بقهر⁽⁵⁾. وقال الجوهري: الدِسَار: واحد الدُسْر، وهي خيوط تُشدُّ بها ألواح السفينة، ويقال هي المسامير. وقوله تعالى: ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾*. ودُسْر أيضاً، مثل عسر وعسر⁽⁶⁾.

وقد وردت كلمة ذات ألواح ودر بمعنى السفينة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13].

الجموع وأسماء الأجناس الجمعية ونحو ذلك، وقال سيبويه: أمّا سفائن فعلى بابيه، وفعلٌ داخلٌ عليه لأنَّ فعلاً في مثل هذا قليل، وإنما شبهوه بقلبٍ وقلب كائهم جمعوا سفينة حين علموا أنَّ الهاء ساقطة، شبهوها بجفرة وجفار حين أجروها مجرى جمد وجماد⁽¹⁾.

وورد ذكرها في أربعة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: 71].

الموضع الثاني والثالث: قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْلُكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَأَلْبَحَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 15].

● ثالثاً: الجارية:

الجري: المر السريع، وأصله كمر الماء، ولما يجري بحريه. يقال: جرى يجري جرية وجرياناً. قال عز وجل: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف/ 51]، وقال تعالى: ﴿جَنَاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الكهف/ 31]، وقال: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ [الروم/ 46]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية/ 12]، وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة/ 11]، أي: السفينة التي تجري في البحر، وجمعها:

جَوَارٍ، قال عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ [الرحمن/ 24]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى/ 32]⁽²⁾.

(3) تاج العروس، 37/ 345.

(4) المفردات في غريب القرآن، ص 750.

(5) المفردات في غريب القرآن، ص 314.

(6) الصحاح، 2/ 657.

(1) تاج العروس، 35/ 192-193.

(2) المفردات في غريب القرآن، ص 194.

قسمت المبحث إلى مطلبين.

المطلب الأول: الريح في القرآن الكريم.

جاء الحديث في القرآن الكريم عن الرياح بلفظها المفرد والمجموع، في ثمانية وعشرين موضعاً، والإفراد والجمع في لفظ الريح ليس محل اتفاق بين القراء، ففي بعض المواضع قرئت بالإفراد لدى بعض القراء وبالجمع لدى البعض الآخر، لذلك سوف أسرد المواضع بناء على قراءة حفص عن عاصم، وهي:

أولاً: مواضع ورود لفظ «الريح»:

أشارت بعض الآيات التي ورد فيها لفظ الرياح إلى وظيفتها في كونها وسيلة نقل جوية وهي:

1. «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [الأعراف 57].

2- «وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا» [الكهف 45].

3- «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» [الروم 48].

4- «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ» [فاطر 9].

وأما الآيات الأخرى التي ورد فيها لفظ الرياح فأشارت إلى وظائف أخرى لها وهي:

1- «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

إن الله قد امتن على عباده بنعمة تسخير السفن التي تسير في البحر، فينتفع النَّاسُ بالتنقل عبرها من مكان لآخر، وبجلب البضائع، وصيد الأسماك، وغير ذلك. فينبغي على الإنسان أن يتأمل في هذه السموات والأرض وما سخر الله فيها للإنسان؛ ليصل إلى الآيات التي فيها؛ فيكون من الموقنين.

والإنسان العاقل كلما تدبر في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات⁽¹⁾.

يقول سيد قطب رحمه الله: «لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وقلب نوره الإيمان. ولو سار في هذا الكون كالرائد الذي يهبط إليه أول مرة. تلفت عينه كل ومضة، وتلفت سمعه كل نامة، وتلفت حسه كل حركة، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التي ما تني تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر»⁽²⁾.

المبحث الثالث:

وسائل النقل الجوية في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الريح في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الملائكة في القرآن الكريم.

تمهيد:

لدى استعراض القرآن الكريم وجدت أنه تحدث عن وسيلتين من وسائل النقل الجوية، الأولى: يرى أثرها بالعين المجردة، وهي الريح، وقد سخرت لنبي الله سليمان عليه السلام، والأخرى لا ترى بالعين المجردة، لا هي ولا أثرها، وهي الملائكة. ولذلك

(1) ينظر: تفسير السعدي ص 79.

(2) ينظر: في ظلال القرآن (1/ 153).

3- ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج 31].

وأما الآيات الأخرى فأشارت إلى وظائف أخرى للريح وهي:

1- ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران 117].

2- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف 94].

3- ﴿أَمْ أَمْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء 69].

4- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء 81].

5- ﴿وَلَيْنِ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: 51].

6- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9].

7- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظِيرِ وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: 12].

8- ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36].

9- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ

الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة 164].

2- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر 22].

3- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان 48].

4- ﴿أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل 63].

5- ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم 46].

6- ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية 5].

ثانياً: مواضع ورود لفظ «الريح»:

وأشارت أيضاً بعض الآيات التي ورد فيها لفظ

الريح إلى وظيفتها في كونها وسيلة نقل جوية وهي:

1- ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس 22].

2- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم 18].

أنها تحطم ما تجد وتهدمه. قال الرماني: جمعت رياح الرحمة لأنها ثلاثة لواقع: الجنوب، والصباء، والشمال، وأفردت ربح العذاب؛ لأنها واحدة لا تلقح، وهي الدبور. قال أي ابن عطية: يرد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا هبت الرياح: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً⁽⁴⁾) انتهى. ولا يسوغ أن يقال: هذه القراءة أوجه؛ لأنه كلاً من القراءتين متواتر، والألف واللام في الرياح للجنس فتعم، وما ذكر من أن قول الرماني يرده الحديث فلا يظهر؛ لأنه يجوز أن يريد بقوله عليه السلام: (رياحاً) الثلاثة اللواقع، وبقوله: (ولا تجعلها ريحاً) الدبور؛ فيكون ما قاله الرماني مطابقاً للحديث على هذا المفهوم⁽⁵⁾.

قال الألوسي: لا يسوغ أن يقال في تلك القراءة أنها أوجه من القراءة الأخرى مع أن كلاً منهما متواتر، وأل في الرياح للجنس فتعم، وما ذكر في التفرقة بين المفرد والمجموع أكثرى، أو عند عدم القرينة، أو في المنكر⁽⁶⁾. وقد جاءت الرياح مفردة في آية واحدة وهي تدل على الرحمة في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22].

قال ابن القيم: «ومن هذا الباب ذكر الرياح في القرآن جمعاً ومفردة؛ فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة؛ وحيث وقعت في سياق العذاب أتت مفردة. وسر ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهاب والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أنشأ لها ما يقابلها ما يكسر سورتها ويصدم حدثها، فينشأ من بينهما ريح

الْآخِرَةُ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُصْرُونَ» [فصلت: 16].
10- ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رَوَاكِدٌ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى 33].

11- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف 24].
12- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ﴾ [الذاريات 41].

13- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر 19].

14- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة 6]⁽¹⁾.
وقد فرق بعض المفسرين بين لفظي «الرياح» و«الريح» في الاستعمال القرآني، والمشهور عندهم أن لفظ «الرياح» إذا جاء في القرآن فإنه يأتي في موضع الرحمة، وإذا جاء لفظ «الريح» فإنه يأتي في موضع العذاب⁽²⁾؛ وعللوا ذلك بأن ريح العذاب شديدة ملتزمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة⁽³⁾.

قال أبو حيان: «قال ابن عطية: وقراءة الجمع أوجه لأن عرف الرياح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة فإنما هي رياح؛ لأن ريح المطر تتشعب وتتدأب وتتفرق، وتأتي لينة ومن ههنا وههنا شيئاً إثر شيء، وريح العذاب إذا خرجت لا تتدأب وإنما تأتي جسداً واحداً؛ ألا ترى

(4) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (213 / 11) [11533] وأخرجه أبو يعلى في مسنده (341 / 4). وهذا الحديث ضعيف جداً.

(5) ينظر: تفسير البحر المحيط (462 / 6) والمحرم الوجيز - ابن عطية (213 / 4).

(6) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار إحياء التراث العربي (255 / 18).

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي ص 400 طبعة دار الحديث..

(2) ينظر: المحرم الوجيز - ابن عطية (233 / 1)، زاد المسير - ابن الجوزي 3 / 427.

(3) ينظر: المحرم الوجيز - ابن عطية (233 / 1)، البحر المحيط - أبو حيان (82 / 2) طبعة دار الفكر، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (198 / 2).

تعيّن المصير إليه؛ لأن القراءة مع القراءة كالأية مع الآية والجمع بين الآيات واجب ما أمكن فكذلك القراءات. جعل الله سبحانه وتعالى للريح وظائف عدة، ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في معرض بيان آيات الله الكونية، وتعداد نعمه على عباده، ومن هذه الوظائف:

1- نقل السحاب

الارتباط بين الرياح والسحاب ارتباط وثيق؛ فالرياح هي المنشئة بقدره الله للسحاب، ثم الرافعة له، ثم الناقلة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقَّتْهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: 27].

وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: 48-50].

والحقائق التي أشارت إليها الآية الكريمة:

أ- أن الرياح تنشط (تثير) وتكون ظهور السحب، وذلك بتبخير الماء.

ب- انتشار هذا النوع من السحاب على هيئة طبقة في السماء: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾.

ج- انفصال أجزاء السحاب بعضها عن بعض: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾.

د- بعد الانفصال إلى أجزاء يسقط المطر: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدها ويرد سورتها فكانت في الرحمة ريحاً.

وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد وحمام واحد لا يقوم لها شيء، ولا يعارضها غيرها حتى تنتهي إلى حيث أمرت لا يرد سورتها ولا يكسر شرتها، فتمثل ما أمرت به وتصيب ما أرسلت إليه؛ ولهذا وصف سبحانه الرياح التي أرسلها على عاد بأنها عقيم فقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات 41].

وهي التي لا تلقح ولا خير فيها، والتي تعقم ما مرت عليه، ثم تأمل كيف اطردها إلا في قوله في سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ فِي اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس 22] فذكر ريح الرحمة الطيبة بلفظ الأفراد؛ لأن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الرياح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد سيرها، فإذا اختلفت عليها الرياح وتصادمت وتقابلت فهو سبب الهلاك؛ فالمطلوب هناك ريح واحدة لا رياح.

وأكد هذا المعنى بوصفها بالطيب دفعاً لتوهم أن تكون ريحاً عاصفة؛ بل هي مما يفرح بها لطبيعتها فلينزه الفطن بصيرته في هذه الرياض المونقة المعجبة التي ترقص القلوب لها فرحاً ويتغذى بها عن الطعام والشراب والحمد لله الفتاح العليم.

فمثل هذا الفصل يعرض عليه بالنواجد، وتثنى عليه الخناصر، فإنه يشرف بك على أسرار عجائب تجتنيها من كلام الله والله الموفق للصواب⁽¹⁾.

وقد سبق أن القراءات تنوعت بين جمع الرياح وإفرادها وأنه حين يكون ذكر الرياح بالإفراد يكون المراد جنسها، وحينما يأتي ذكرها بالجمع يكون المراد أنواعها، وما دام الجمع بين القراءتين وتوجيهها ممكناً

(1) ينظر: بدائع الفوائد (1/ 117 - 119).

4- تحريك السفن:

ومن مهمات الرياح أيضاً تحريك السفن والبواخر في البحر؛ ليقضي الناس حاجاتهم من ركوب السفن ويصلوا إلى غاياتهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: 32-33].

حتى السفن التي تعمل بالمحركات والوقود، لا بد من وجود الهواء حتى تتم عملية احتراق الوقود، ولا يمكن لهذه الأجهزة أن تعمل بكفاءة إلا بهواء التبريد، ولا زالت هذه الأنواع من الفلك التي تجريها الرياح مسخرة للبشر، فتبقى منة الله في الآية باقية ما بقي الليل والنهار.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: 46].

أوضح ابن الجوزي في زاد المسير⁽²⁾ عند تأويل هذه الآية أن هذه الجمل كلها تتعلق بالرياح، قال ابن الجوزي: «مبشرات تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿بِأَمْرِهِ﴾ وَلِتَبْتَغُوا بالتجارة في البحر ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو الرزق وكل هذا بالرياح».

5- التبشير بنزول الغيث

والرياح ترسل مبشرة فتضفي على النفوس فرحاً وسروراً، ويستبشر بها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48].

وقال تعالى: ﴿أَمْنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ

هـ- هذه السحب لا تُنتج برداً أو عواصف رعدية، فتكون الأمطار النازلة منها مدعاة للاستبشار بها وفرح الناس بها؛ لخلوها من الآثار المدمرة: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾⁽¹⁾.

2- تغيير الطقس:

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾: «باردة وحارة، وجنوباً وشمالاً وشرقاً ودبوراً وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلتحقه، وتارة تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب». فتصريفها تقلبها بين هذه الأمور.

ويتبين من خلال ذلك:

- أن هناك تصريفاً - توازياً تاماً للرياح.

- أن هناك قوانين تحكم حركة الرياح.

3- تلقيح النبات:

كما جعل الله من مهمات الرياح نقل حبيبات اللقاح للنبات لينتج الثمر بإذنه تعالى.

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22].

تلقيح النبات بالعوامل الطبيعية يكون بواسطة الحشرات، والطيور، وبواسطة المياه، وبواسطة الرياح، وهو ما يُسمى بالتلقيح الريحي.

والتلقيح الريحي ضروري في عملية الإخصاب، لا سيما للنباتات التي لا تنجذب إليها الحشرات، فتنقل الرياح حبيبات اللقاح من العناصر الذكورية في النبات إلى العناصر الأنثوية، فيتم الإخصاب بإذن الله.

(1) ينظر: الموسوعة الكونية الكبرى: آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، د. ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، 1429هـ / 2008م، 13 / 111.

(2) ينظر: زاد المسير (6 / 307).

يَدَى رَحْمَتِهِ ؕ أَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿النمل: 63﴾.

7- وظيفة خاصة من فضله ولعلكم تشكرون ﴿الروم: 46﴾.

كما جعل الله سبحانه وتعالى للريح مهمة خاصة تقوم بها وهي تسخيرها لنبي الله سليمان عليه السلام لتنقله حيث يشاء، كما أخبرنا بذلك في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: 81]

وقال أيضاً جل وعلا: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ غَدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ [سبأ: 12].
وقال أيضاً سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [سورة ص: 36].

وقد جاء تفسير تسخير الريح لسليمان في كتب المفسرين على عدة أوجه:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿و﴾ سخرنّا ﴿لِسُلَيْمَنَّ﴾ بن داود ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وعصوفها: شدة هبوبها، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ (3).

وجاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: «أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال: تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر في يوم.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه قال: إن سليمان عليه السلام لما شغلته الخيل فاتته صلاة العصر

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: 46].

أوضح ابن الجوزي في زاد المسير (1) عند تأويل هذه الآية أن هذه الجمل كلها تتعلق بالرياح، قال ابن الجوزي: مبشرات تبشر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ في البحر بتلك الرياح بأمره ولتبتغوا بالتجارة في البحر من فضله وهو الرزق وكل هذا بالرياح.

6- حمل العذاب

ومن مهمات الريح أيضاً حمل عذاب الله إلى من أشرك بالله وكذب بآياته ورسله، ومن صفات هذه الريح أنها تكون عقيماً لا تحتوي على نوية، ولا على رطوبة، ولا تُلْقَح شيئاً، تدمر كل شيء بإذن ربه.
قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41].

وقال تعالى أيضاً: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24].

6- إصدار الطاقة

والرياح اليوم تعدُّ مصدرًا من مصادر الطاقة، فطواحين الهواء استمدت فكرتها من هذه الآية الربانية الكونية (2).

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا

(1) ينظر: زاد المسير (6/ 307) ..

(2) ينظر: الريح: وقفات، وأحكام، ودلالات مهران ماهر عثمان منشور بموقع صيد الفوائد.

(3) ينظر: جامع البيان للطبري - طبعة مؤسسة الرسالة - (481/ 18).

قال ابن حزم رحمه الله: «وإن الملائكة حق، وهم خلق من خلق الله عز وجل، مكرمون، كلهم رسل الله، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: 23]، وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، وقال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ﴾ [فاطر: 1]»⁽³⁾.

والملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31]. وإذا أردت أن تعلم كثرتهم، فاسمع ما قاله جبريل عن البيت المعمور، عندما سأله الرسول ﷺ عنه عندما بلغه في الإسراء: (هذا البيت المعمور يصلي فيه في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم)⁽⁴⁾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)⁽⁵⁾. فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة مليارات وتسعمائة مليون ملك.

وقد كلف الله الملائكة بمهمات غيبية كثيرة نيّط بهم، ووكلت إليهم: ﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مریم: 64]. ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة قليلة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [القدر: 3 - 4]⁽⁶⁾.

ومن ضمن هذه المهمات:

1- تبليغ رسالات الله سبحانه وتعالى وأوامره ووحيه إلى أنبيائه ورسله.

غضب الله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع؛ الريح تجري بأمره كيف شاء، فكان غدوها شهراً ورواحها شهراً، وكان يغدو من إيليا فيقيل بقريرا ويروح من قريرا فيبيت بكابل.

وأخرج أحمد في الزهد عن الحسن ﷺ في قوله غدوها شهر ورواحها شهر قال: كان سليمان عليه السلام يغدو من بيت المقدس فيقيل بإصطخر ثم يروح من إصطخر فيقيل بقلعة خراسان⁽¹⁾.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الريح عاصِفَةً﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيال والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه⁽²⁾.

المطلب الثاني: الملائكة في القرآن الكريم.

هناك وسائل نقل غيبية لم نرها ولكن حدثنا الله سبحانه وتعالى عنها في القرآن الكريم، وأمرنا بالإيمان بها، ألا وهي الملائكة.

قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

(3) ينظر: المحلى 1/ 13.

(4) ينظر: صحيح البخاري: 103/6. ورقمه: 3207. ومسلم: 1/ 146. ورقمه: 162. واللفظ للبخاري.

(5) ينظر: صحيح مسلم: 4/ 2184. ورقمه: 2842.

(6) ينظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر الأشقر ص: 15.

(1) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي - طبعة دار الفكر (6/ 677).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ط - دار طيبة - (5/ 358).

كَتَبِينَ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار: 10-12].

4- نزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم.
قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11].

5- استغفارهم للمؤمنين.
قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: 5].

6- قاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم.
قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

إلى غير ذلك من المهمات الكثيرة التي وردت في السنة النبوية ولا يسع ذكرها هنا لكثرتها.

المبحث الرابع:

وسائل نقل خاصة أشار إليها القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهدهد في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: البراق في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وسائل النقل الحديثة.

المطلب الأول: الهدهد في القرآن الكريم.

ومن وسائل النقل الخاصة التي ذكرت في القرآن الكريم تسخير طائر الهدهد في نقل المعلومات لنبي الله سليمان عليه السلام، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى بها في سورة النمل حيث قال: ﴿وَتَقَقَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿١٢﴾

ومهمة التبليغ قائمة على نقل الخبر بين الله تعالى ورسوله، وهي أبرز مهام الملائكة، وخاصة جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 19 - 21].

وقد يأتون أثناء تلك المهمة في صورة رجل كما في الحديث⁽¹⁾، وقد دلت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة، إذا تمثل الملائكة في صورة بشر.

ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا الرسول ﷺ، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها، وهما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: 13 - 15]، عندما عرج به إلى السموات العلا.

وقد ورد في صحيح مسلم: ((أن عائشة رضي الله عنها سألت الرسول ﷺ عن هاتين الآيتين فقال ﷺ: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء، ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض⁽²⁾)).

2- حراستهم لبني آدم.

قال تعالى: ﴿لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ﴾ [الرعد: 11].

3- تسجيل صالح أعمال بني آدم وسيئها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٧﴾ كِرَامًا

(1) وفيه «هذا جبريل...» رواه مسلم 1/ 36-38 (8) من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم، باب مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 13]، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، 1/ 159، برقم: 177.

ويأمرهم بالمجيء إليه، فكان نتيجة ذلك أن أتت تلك الملكة إلى سليمان عليه السلام ثم أسلمت وأسلم قومها فكانت هدايتهم بسبب هذا الهدهد.

قال ابن كثير: «لما كان الهدهد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نهي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد⁽²⁾. وإسناده صحيح⁽³⁾».

المطلب الثاني: البراق في القرآن الكريم

من وسائل النقل التي وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم: البراق الذي نقل النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس في فلسطين ولم يذكر صراحة في القرآن الكريم وإنما أشار إليها في بداية سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

حيث إنه لا بد لهذه الرحلة من وسيلة من وسائل النقل وقد جاء ذكرها في السنة، فقد ورد ذكر البراق في حديث الإسراء المشهور الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي آتٌ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَعَسَلَهُ ثُمَّ أَعِيدَ ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ

(2) الحديث مخرج في مسند ابن المبارك (198) ومسند الدارمي.

(1941) سنن ابن ماجه. (3223) سنن أبي داود.. (4586)

مسند عبد بن حميد.. (657) مصنف عبد الرزاق. (8191)

السنن الكبرى للبيهقي. (17838) وغيرهم.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير (6/ 188).

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة النمل: 28 - 20].

والتأمل في قصة الهدهد مع نبي الله سليمان عليه السلام يجد أن النبي سليمان استخدم الهدهد في نقل رسالته إلى ملكة سبأ، وأمره بأربعة أوامر:

الأول: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا﴾، الثاني: ﴿فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾، الثالث: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾، الرابع: ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾. فأخذ الهدهد كتاب نبي الله سليمان وذهب به إلى تلك الملكة - بلقيس - وأصل لها ذلك الكتاب الذي يحمل رسالة سليمان - عليه السلام - ودعوته لها ولقومها، ونفذ ما أمره به سليمان عليه السلام.

قال ابن كثير: «وذهب [أي الهدهد] إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تحتل فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدباً ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31-30]⁽¹⁾».

لقد أراد الله الهداية لتلك الملكة وقومها فسخر الهدهد فعرف مكانهم وحالهم وما هم عليه من عبادة، ثم نقل ذلك إلى نبي الله سليمان - عليه السلام -، فأرسل إليهم كتاباً يحمله الهدهد ليقيم به الحجة عليهم،

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (6/ 188).

بِهَا الْحَجَرَ، وَشَدَّ بِهِ الْبَرَّاقَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي، انْتَهَيْتُ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَخَرَقَ جِبْرِيلُ الصَّخْرَةَ بِإِصْبَعِهِ، وَشَدَّ بِهَا الْبَرَّاقَ⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: وسائل النقل الحديثة:

أشار القرآن الكريم إشارة واضحة إلى وسائل النقل الحديثة، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلقه للمركوبات قال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] فذكر أنه خلق الخيل والبغال والحمير لتركب ثم عطف بقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا إشارة إلى أن من هذا الخلق الذي لا نعلمه ما سيكون مراكب بل هو الأولى بسياق الآية. قال الشنقيطي في أضواء البيان: قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها، وأبهم ذلك الذي يخلقه لتعبيره عنه بالموصول ولم يصرح هنا بشيء منه، ولكن قرينة ذكر ذلك في معرض الامتنان بالمركوبات تدل على أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوه ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات، والقطارات، والسيارات. ويؤيد ذلك إشارة النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد⁽⁵⁾) ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح قوله ﷺ: (ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها) فإنه قسم

أَبْيَضُ يُقَالُ لَهُ الْبَرَّاقُ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ» الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ⁽¹⁾.

وفي رواية مسلم: ثم أُتِيَتْ بدابة يقال لها البراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا.

وقد ذكر أن البراق مشتق من البرق لسرعته، وقيل لبريقه وشدة صفائه وتلألئه⁽²⁾.

وقد جاءت ورايات - لا تخلو من مقال - في وصف البراق وتحديد مسافة بصره أو ما بين وسنكتفي بإيراد النصوص الثابتة أو المقاربة وبكلام أهل العلم المعتمد. فلا شك أن أمور الغيب من الأمور التي لها ارتباط بالمعتقد. فلو كانت هذه الأمور مما يحتاج إليه لبيها النبي ﷺ.

والذي يتحصل من النص أن هذه الدابة في غاية السرعة، يدل على ذلك قرائن منها: اشتقاق اسمها من البرق، ووصولهم إلى بيت المقدس في تلك الليلة ورجوعهم إلى مكة المكرمة.

وقد ورد في البراق عدة أحاديث نذكر منها:

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بِالْبَرَّاقِ، لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، مُلَجَّجًا مُسَرَّجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، قَالَ: فَارْفَضَ عَرَقًا⁽³⁾.

وَعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ، فَخَرَقَ

(1) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة - حديث: (3207) وفي (3393) وفي (3430) وفي (3887). ومسلم رقم (164) في كتاب الإيمان باب معراج النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (17/ 24) والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (1/ 322).

(3) ينظر: أخرجه أحمد 3/ 164 (12701). وعبد بن حميد (1185). والتِّرْمِذِيُّ (3131).

(4) أخرجه التِّرْمِذِيُّ (3132).

(5) أخرجه مسلم (1/ 94) (408).

الخاتمة

بعد تطواف جميل في آيات القرآن الكريم، واستخراج أنواع وسائل النقل التي ورد ذكرها فيه؛ تبين أن القرآن الكريم احتوى على كل وسائل النقل التي نعرفها، وتخطاها إلى ذكر عدد من الوسائل التي لا نعرفها، كما بينت ذلك في مباحث البحث ومطالبه.

ويجدر بي أن أجهل لك أخي القارئ النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، فيما يلي:

1. تحدث القرآن الكريم عن كل وسائل النقل التي كانت معروفة لدى العرب، وأشار إلى ما جد وما يمكن أن يجد من وسائل نقل برية وبحرية وجوية، وتحدث عن بعض الوسائل الغيبية التي لا علم للإنسان بها.

2. الإبل هي أهم وسيلة للنقل كانت عند العرب، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، في خمسة عشر موضعاً.

3. الخيل تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية عند العرب، وقد ورد ذكرها في سبعة مواضع.

4. الحمير كانت معروفة لدى العرب، لكن استخدامهم لها كان بدرجة أقل من الإبل والخيل، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة نفوس العرب التي تحب الفخر والمباهاة والمدح وتأنف الذل والهجاء.

5. البغال من الحيوانات التي كانت موجودة بقلّة في الجزيرة العربية عند نزول القرآن ولم يعتمد عليها العرب في تنقلاتهم ولم تذكر في أشعارهم وأخبارهم. ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم إلا مرة واحدة.

6. السفن وسيلة النقل البحرية ذكرت في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة (الفلك 23 مرة) (السفينة 4 مرات) (الجارية 4 مرات) (ذات ألواح مرة واحدة).

من النبي ﷺ أنه سترك الإبل فلا يسعى عليها، وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمرائب المذكورة. وفي هذا الحديث معجزة عظيمة، تدل على صحة نبوته ﷺ وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه أكثر من أن تحصر⁽¹⁾.

وجاء التعبير بالمضارع في قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ للدلالة على أن الخلق مستمر ومتجدد. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من وسائل الركوب والانتقال كالسيارات والطائرات وغيرها، فهي من صنعنا ولكنها من خلق الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: 96] فكل قول أو فعل أو كائن في هذا الوجود فهو مخلوق لله، كما قال تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: 102].

وقد يقول قائل: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صنوف المخلوقات المتنوعة والأطعمة وليس من وسائل الركوب والانتقال فقط.

ولكن الظاهر في تفسير ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في هذه الآية، أي من وسائل الركوب والانتقال؛ لأن ذكر ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في ختم الآية التي تتحدث عن الخيل والبغال والحمير دون غيرها من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن مخلوقات الأرض والسماء في هذه السورة، للدلالة على الارتباط بين الخيل والبغال والحمير وبين هذا الخلق. فقله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يشمل كل وسائل النقل التي اخترعها الإنسان حتى الآن وكل ما سيخترعه في المستقبل.

(1) ينظر: أضواء البيان (2/ 334).

13. إن النظر في آيات الله الكونية وتأمل بديع خلقه من دلائل الإيمان، خاصة الإبل ففي عجائب خلقها وإمكاناتها، وما حباها الخالق الحكيم من قدرات وميزات جعلها تفوق كثيراً الحيوانات الأخرى في القوة والتحمل والعيش في الصحراء، وهكذا تتطابق الحقائق العلمية مع بيان القرآن الكريم، وتبين إعجازه حين نبّه الناس إلى هذا الكائن العجيب، وتأمل هذا الخلق المتفرد؛ للوقوف على أسرارهِ ودقائق خلقهِ.
وختاماً فهذا جهد المقل قد بذلته، وأسأل الله له القبول وأن ينفع به أنه ولي ذلك والقادر عليه.

المصادر

- **إتحاف فضلاء البشر.** المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ). المحقق: أنس مهرة. الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان. الطبعة: الثالثة، 2006م - 1427هـ.
- **أحكام القرآن.** المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.
- **أسرار البلاغة.** المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ). المحقق: عبد الحميد هندراوي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- **أسماء في القرآن الكريم.**

7. الرياح وسيلة نقل سخرت لنبي الله سليمان عليه السلام، وتنقل السحاب من مكان لآخر، وتنقل حبيبات اللقاح، وتنقل عذاب الله للمستحقين، وقد جاء الحديث في القرآن الكريم عن الرياح بلفظها المفرد والمجموع، في ثمانية وعشرين موضعاً.

8. الملائكة من وسائل النقل الغيبية، فهي تنقل الوحي من السماء إلى الأرض، وتبلغه للأنبياء والمرسلين.
9. من وسائل النقل الخاصة التي ذكرت في القرآن الكريم تسخير طائر المهدد في نقل المعلومات لنبي الله سليمان عليه السلام، ونقل رسالته إلى بلقيس.

10. البراق: من وسائل النقل التي وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم، فقد نقل النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس في فلسطين ولم يذكر صراحة في القرآن الكريم وإنما أشار إليه في بداية سورة الإسراء. وصرح الحديث عنه في السنة.

11. أشار القرآن الكريم إشارة واضحة إلى وسائل النقل الحديثة، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلقه للمركوبات قال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] فذكر أنه خلق الخيل والبغال والحمير لتركب ثم عطف بقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا إشارة إلى أن من هذا الخلق الذي لا نعلمه ما سيكون مراكب بل هو الأولى بسياق الآية.

12. إن الإنسان العاقل كلّما تدبّر في ما لله من المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله في ما أودع فيها من لطائف العلم والبرّ والحكمة - علم علماً يقينياً أنّها لم تخلق عبثاً، وأنّها صحائفُ آيات، وكتبٌ دلالات.

- الإعجاز العلمي في الإسلام: القرآن الكريم. المؤلف: محمد كامل عبد الصمد. الناشر: الدار المصرية اللبنانية-القاهرة. الطبعة: السابعة، 1427هـ-2006م.
- الإعجاز القرآني في علوم الأحياء والبيولوجيا. المؤلف: أحمد المرسي حسين جوهر. الناشر: مكتبة الإليان-مصر.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: محمد عبد السلام إبراهيم. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.
- البحر المحيط. المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ). المحقق: صدقي محمد جميل. الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة: 1420هـ.
- البداية والنهاية. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ). المحقق: علي شيري. الناشر: دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.
- بدائع الفوائد. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751). المحقق: علي بن محمد العمران. الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة. الطبعة: الأولى، 1425هـ.
- التبيان في تفسير غريب القرآن. المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: 815هـ). المحقق: د. ضاحي عبد الباقي محمد. الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الأولى - 1423هـ.
- التحرير والتنوير. المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ). الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: 1984هـ.
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). المحقق: طارق فتحي السيد. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
- تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، د. زغلول النجار.
- تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي. الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق. الطبعة: الثانية، 1418هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ). المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.
- جامع البيان في تأويل القرآن. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). المحقق: أحمد محمد

- شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
 - الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
 - حجة القراءات. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403 هـ). المحقق: سعيد الأفغاني. الناشر: دار الرسالة.
 - حياة الحيوان الكبرى. المؤلف: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: 808 هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الثانية، 1424 هـ.
 - الحيوان. المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255 هـ). الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الثانية، 1424 هـ.
 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ). الناشر: دار الفكر - بيروت.
 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270 هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
 - الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
 - الريح: وقفات، وأحكام، ودلالات. المؤلف: مهران ماهر عثمان. منشور بموقع صيد الفوائد.
 - زاد المسير في علم التفسير. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
 - سنن ابن ماجه. المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273 هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
 - سنن أبي داود. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275 هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي. الناشر: دار الرسالة العالمية. الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
 - سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279 هـ). المحقق: بشار عواد معروف. الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: 1998 م.
 - السنن الكبرى للبيهقي. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ). المحقق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
 - شرح طيبة النشر. المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ). ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 2000 م.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ). المحقق: شعيب الأرناؤوط. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الثانية، 1414 - 1993 م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: المكتب الإسلامي.
- عالم الملائكة الأبرار. المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي. الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت. الطبعة: الثالثة، 1403 هـ - 1983 م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- غريب القرآن. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ). المحقق: أحمد صقر. الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية). السنة: 1398 هـ - 1978 م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي. المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب. الطبعة: الثانية، 1406 - 1986 م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ). المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- المحلى. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ). الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- المستدرک على الصحيحين. المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، 1411 - 1990 م.
- مسند أبي يعلى. المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصل (المتوفى: 307هـ). المحقق: حسين سليم أسد. الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق. الطبعة: الأولى، 1404 - 1984 م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الحديث - القاهرة. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
- مسند الدارمي. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. المحقق: د. مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني. الناشر: (بدون ناشر) (طُبِعَ

- الطبعة: الثانية.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. - محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار الحديث.
 - معجم مقاييس اللغة. المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر. عام النشر: 1399هـ - 1979م.
 - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (578 - 656هـ). حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال. الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت). الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.
 - مناهل العرفان في علوم القرآن. المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: 1367هـ). الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة: الثالثة.
 - الموسوعة الكونية الكبرى. المؤلف: د. ماهر أحمد الصوفي. المكتبة العصرية - بيروت. 1429هـ/ 2008م.
 - موطأ الإمام مالك. المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبغي المدني (المتوفى: 179هـ). صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان. عام النشر: 1406هـ - 1985م. الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379.
 - النشر في القراءات العشر. المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ). المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380هـ). الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
 - على نفقة رجل الأعمال الشيخ جمعان بن حسن (الزهراي). الطبعة: الأولى، 1436هـ - 2015م.
 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
 - مسند عبد الله بن المبارك. المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: 181هـ). المحقق: صبحي البدري السامرائي. الناشر: مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة: الأولى، 1407هـ.
 - مسند عبد بن حميد. المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسبي ويقال له: الكسبي بالفتح والإعجام (المتوفى: 249هـ). المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي. الناشر: مكتبة السنة - القاهرة. الطبعة: الأولى، 1408 - 1988م.
 - مصنف عبد الرزاق. المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ). المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. الناشر: المجلس العلمي - الهند. المكتب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الثانية، 1403هـ.
 - معالم التنزيل. المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ). المحقق: محمد عبد الله النمر وآخرون. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة، 1417هـ - 1997م.
 - المعجم الكبير. المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ). المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

